سميراميس

مسرحية

بقلم اديب فرنسا الكبير

بول فالري

في ثلاثة فصول، موسيق «ارتور هونجار»
مثلت أولاً على مسرح « الاوبرا » في
باريس ١١ مارس سنة ١٩٣٤

« حقوق النقل محفوظة للمترجم
باذن المؤلف »

ومن مجهل اديب فرنسا الاكبر «بول فاليري» الشاعر الناثر الذي احدثت نظرياته الفنية تحولاً كبيراً في تيارات الادب . فهو عقل قبل كل شيء لا يرى في خضوع الشعر لهذا العقل غضاضة ، وهو مهندس يبني افكاره بناء هندسياً ، فلا تزداد الا روعة ، لا يرى ان عمل الشاعر مقتصر على التعبير عن خلجات فؤاده وخطرات نفسه وانما هو ان يعبر عن الافكار . . . . ويرى في شعره عاطفة صافية تترفع الى ما وراء الطبيعة وهو لا يأخذ بيدنا ليقنعنا ازاء عاطفة انسان ما ، وانما يرفعنا لنقف ازاء روح الوجود

والذين تلوا «المقبرة البحرية» والزورق الذي يلد لهم تفكير هذا الشاعر الرمزي الذي يخلقه العقل للعقل . وقد آثرنا ترجمة هذه المسرحية لنثري ادبنا لوناً جديداً من الادب الجديد تتعانق فيه الفنون الجميلة كلها من رسم وموسيق ونحت ولحن تتضافر جميعاً وتتعاون على رفع الانسان الى عالم يخلقه التفكير السليم . وما سميراميس الا قمة سامية من قمم الشرق التي يلتقي فيها كل شيء متآلفاً من التناقضات « خليل هنداوي »

الاشخاص

سميراميس — الأسير — اربعة منجمين

ملوك . اسرى . كهان دير كتو . وصيفات الملكة . جنود . خدم

الزخرفة — زخرفة المكان وآردية من فيه تمثل روح الآثار القديمة ، يمازجها شيء من الروعة والزينة الفخمة

بابل

العجلة

زخرفة الفصل : هناك بهوٌ واسع ، وأبواب صمّاء ، ترى عن الشمال صنماً ضخماً للربّة « ديكرتو » على الهيئة الوحشية . وجهها وجه امرأة وبدنها بدن سمكة . وترى عن اليمين — أزاء الصنم — عرشاً منصوباً على هيئة ديوان تتألف أجزاؤه من أسراب حمائم ذهبية ، وعلى جوانب الصنم منارات ومصابيح مختلفة تُنار في أوقاتها

يرتفع الستار فاذا المشهد مظلم رائع ، واذا بالموسيقى تعزف رويداً رويداً . وهنالك بعض اشخاص من عمال القصر يعملون وقد يتخلل هذا المشهد ضرب من الرقص الايقاعي مدى لحظات قصيرة

دخول الاسرى : تتعالى في خارج المشهد لجبة تمتزج بها أصوات الأبواق ، فيتحرك الاشخاص فجأة ، وتفتح الابواب بشدّة فيدخل الملوك الأسرى مصفدين بالأغلال في سبيل ضيق تحيط به الجنود ، يجثون ويركعون وترى سيماء العزي عليهم ثم يشمل الكون ويطول الانتظار

دخول الملكة : ها هنا تخلق الموسيقى جوّاً جديداً محفوفاً بالقوة والكبرياء وتبدو الملكة على عجلة خفيفة عليها جثث المحاربين وهاماتهم المبتورة . يجر هذه العجلة ثمانية ملوك اسرى مصفدين بسلاسل من ذهب . تطل سميراميس من قلب عجلتها السوداء ، يدها عن ذعي وعلى كتفيها نثرت حمائم من ذهب اجنحتها . وعلى وجهها خوذة تحجب جبهتها . وهي مستوية على حامية عاجية مبسوطة على هيئة سمكة . تأخذ المِدُق بيد . وبالأخرى تتناول قوسها فتسكن كل حركة بدخولها وتصبح اللحظة لحظة احتفال

الملوك المقهورون : الويل لنا ، الويل لنا
والخزي لآلهتنا الضعفاء !
يا للجد الخادع !
يا للضحايا المسفوح دمها باطلاً !

— ١ —

تحل حزم الملوك ويُقدمونهم بغلظة ليتسرعوا على درجات العرش . ويقدم الجنود منقضين على بعض الأسرى حتى يكون من هذه الأجساد الذليلة بساط مفروش من اليمين الى الشمال والجواري منطرحات حول العرش

— ٢ —

تهبط الملكتين بعجلتها في جلالٍ وتتجه نحو عرشها والمئة أجساد الأسرى

— ٣ —

تجرد الجواري الملكة من سلاحها وتكسوها زينتها الملكية وعلى العرش تسطع الأنوار ثم تنزل الجاليات الى العرش وهن يؤلفن حلقة ثم فيقدمن المرآة والتاج وغيرها ، وخلال ذلك توقع الموسيقى أنغاماً تلائم هذا المشهد . تنتهي سميراميس من زينتها وتقعد كالنائمة ويدها صولجانها

— ٤ —

الكهان والجنود يرقصون والعبيد يدخلون حاملين أوثان المغلوبين على أمرهم ، على هيئة مسوخ مختلفة لها وجوه حيوانات ، فتلقى أمام الربة « ديكرتو » فتعزف الموسيقى لحناً مفجعاً ، يمتزج ببعض حركات غريبة الشكل ، ثم تشير الملكة فتقطع هذه الأوثان وتحطم تحطيماً

— ٥ —

روّعت هذه الفجيعة احد الملوك الأسرى فرفع رأسه ونظر الى هذا المشهد وجلاً . لمحتهُ الملكة وخفت اليه رافعة صولجانها . حدقت في ملامحه فهمّ احد الجلادين بقطع عنقه ، فخفت برأسها على ذراعيه فسكن جأش الجنود وهي قد سباها جمال الأسير فدغدغت خصائل شعره ورفعت رأسه بها وتأملتهُ طويلاً ثم ألقتهُ يجثو على ركبتيه وهي لا تزال قابضة على ناصيته . وأعطت الحراس صولجانها فحملوه راكعين خاشعين . أمرت سميراميس الأسير بأن ينهض وغدائر شعره في يدها . وما زالت تشدُّ به حتى انتحت به ناحية وتركتهُ جامداً كالصنم لا يتحرك . أخذت تمتحنهُ

باتساه دقيق ، تجس ذراعيه وكتفيه وتأمره بأن يدور حولها ذات اليمين وذات الشمال ، وينتهي امتحانها بابتسامة رضا فيها معاني الخشية . فتحل اذ ذاك قيود اسيرها فيقف مكتوف اليدين واجماً صامتاً ، لا يدري ما يُصنع به . وهنا تخمد الانوار وتطفأ المصابيح ، ويغشى غرفة الملكة ظلام لا يتبيَّن الناظر ما وراءه الاَّ بضياء يأتي ساحة المشهد الاول تسطع بضوء خافت . تهوي الملكة برفق وحنان على قدمي أسيرها ، تمرغ وجهها على ركبتيه وترنو اليه بحب وغرام . وهو قد ذهب عنهُ الخوف وثاب اليه هدوؤه وأخذ يمر يده على رأسها وعلى فمه ترتسم ضحكة صامتة ، والستار آخذ في الهبوط

وهو ستار شفاف رقيق رسمت على ملاءته المطرزة طيور مختلفة ، ترى عن يساره حراس القصر مدججين بالسلاح وهم يزجون امامهم الملوك المصفدين ، وترى حملة الطعام والشراب والثمار والعطور فوق المجالس يخفون الى حيث انتحى الحبيبان ، وخلال ذلك يقوم الخارجون بضروب من الرقص . ثم يرتفع الستار قليلاً قليلاً ثم ينبثق كأنما النسيم ازاحهُ فيهدأ الخارجون عن رقصهم ويتوارون وراء الاستار

الفصل الثاني

نحن في أعماق القصل ، وعلى جوانبه ستور شفافة مزخرفة ، يرتفع الستار عن جناح من الحدائق المعلقة . . . فيه سرير واسع تتعالى مساندهُ على شكل هرم . . . والليل قد لف الكون ، وفي الجناح شمعدان ضخم يشتعل بالعطور والطيوب وحوله مائدة مشحونة طعاماً وثماراً معلقة بسلاسل غليظة يسهل تناولها

في قلب هذا الليل الطافح حبًّا الغابق هوًى ترى الحبيبين على السرير وقد تشابكت منهما الأيدي ، وليس على بدن سميراميس الاَّ حليها . واسيرها يرتدي ثوباً ارجوانيًّا . . . يتعانقان طويلاً

الجوقة : سميراميس ، ايتها الحمامة الحيارة
ها انت ذاهلة في الحب
بدنك عذب بين يدي العقاب الخالد
ونفسك الكبيرة تتهاوى على الملذات

سولو : في قلب الليل
ان نحن الا أنت وأنا .
لا ملك ولا ملكة
في قلب الليل .

في قلب الليل
فلك هو في .
انما نحن شيء واحد
في قلب الليل .

انما نحن شيء واحد
لا ملك ولا ملكة
وفرح واحد
في قلب الليل . . .

— ١ —

يستيقظ الرجل ويتظاهر بالهرب من الملكة فتبعهُ زحفاً على ركبتيها بين المساند. يسقط ويتظاهر بالنوم فترنو اليهِ بعطف وتلثم عينيهِ وتجعل تلثمهُ لثماً رقيقاً ، وتحنو عليهِ حنوًّا رقيقاً لتوقظهُ

— ٢ —

تتناول زجاجة عطر ترشها عليهِ وتدهن بدنه وتتملقهُ ، ثم تتناول ثماراً وكأساً ليأكل ويشرب . تخدمهُ كأمة ، وتلثم يديهِ وقدميهِ . وتبدو كأنها خاضعة لهُ متراخية عنده قد شلَّ الحب كل قواها

— ٣ —

ينظر اليها ضاحكاً فرحاً بما ملك ، يبدي قوَّة الرجل الذي انتصر . يحدثها ويراها كأنها من سقط المتاع . فيذكر كيف مستهُ أول عهدها بهِ فيعطيها رأسه . فتهزه وتضحك في وجههِ ضحكة وحشية بهيمية ثم تدفعهُ عنها وتشد عليهِ حتى تضعهُ تحت قدميها . وهي خلال ذلك مضطربة مختبطة فيرفع يده يريد أن يهوي عليها . وفجأة

يسود الكون . وسميراميس يتبدل وجهها وترجع الى الوراء وتجمع شعرها كأنها وحش ضارٍ ابدى براثنهُ للوثوب . ابتسم الرجل ابتسامة ازدراء وضحك . والانوار الذهبية استحالت انواراً لها لون الدماء . هزَّ كتفيها وقبض عليها بكلتا يديه محاولاً التغلب عليها . فتشجعت قواها وانتفضت مغضبة وزلقت بين يديه كالأفعى وعادت الى وجهها سيماء الحرب فقذفت به بعيداً وطرحتهُ على اسفل السرير حيث تدحرج ذليلاً . وصاحت صيحة اجابها عليها عواء وزئير ، وظهر على الأثر فريق من الحراس والحارسات كانوا يزحفون من احشاء السرير ، ويخرجون من اطواء البطائن وثنايا الاستار ، فهووا على الرجل وكبلوهُ ، والرجل في حالة اضطراب

توارى الجمع وظهرت الملكة مرتدية غلالة سوداء حاملة بيدها حربة شرعتها نحو ضحيتها ، وغادرت سريرها وشمل الظلام ولا يزال النور يتألق على الستار الرمزي شيئاً فشيئاً ، ولا تزال العين تلمح طائفة من الحراس يحملون جثة الاسير ولم لمن يوجه النظر وخلال ذلك تبدو سميراميس وقد حملت مصباحاً مشتعلاً واخذت تتقدم

الفصل الثالث

يرتفع الستار عن مرصد مشيد على قمة برج أُقيم لرعي الكواكب وعبادتها . فيه أربعة وجوه ضخمة هي : « سيد » وهو ثور له وجه انسان . و« نيرجال » وهو اسد له وجه انسان . و« اوستور » وهو انسان . و« ناتيج » له رأس نسر . وكان الوقت قبيل الفجر والنجوم لا تزال تتألق . حتى اذا لمع لامع النهار وقع البصر سريعاً على مشهد فيه انهار وغابات ومدن ودخان

هنالك أربعة منجمين مختلفي الأزياء ، كأنهم في عيد الآلهة سحري يترنمون بأسماء الآلهة . . . يترنمون وينادون آلهتهم ، ويبدلون أوضاعهم

المنجم الاول : يا روح بعل ، يا ملك الاقطار

الجميع : اذكر

المنجم الثاني : يا روح « سان » يا فتاة الاقطار

الجميع : اذكر

المنجم الثالث : يا روح « ايستار » يا غادة الجحافل

الجميع : اذكر

المنجم الرابع: النهار يشرق . . . والنسر يعود . . . والحمامة تسرع مضرجة بدماء الحب . تعود تستند كنوز الحياة . . . ألا ان الحب يورث الموت

الجميع : سميراميس ! أيتها الألوهة ،
سميراميس ، أيتها القادرة ؟
يا قوة الآلهة ،
يا وردة السماوات ،
ترفقي بي يا سميراميس . . .

وهنا يتطرحون ثم تدخل سميراميس في اعماق الهيكل ، وهي بردائها الاسود ، ورأسها محجوب بلفق ، وبينما هي تشد هذا اللفق على رأسها تنظر الى السماء نظرة عميقة وتحيي المنجمين ثم تدور على نفسها برفق وترفص رفصة النجوم ثم تقول

سميراميس : أيها الصرح ، يا صرحي ويا سمائي .
يا صرحي الذي رفعتُ وسكنتُ .
أيها البرج السامق ، يا صنع يدي
يا زهرة قدري المضرجة بدماء الذراري
يا هيكل السماء ، جئت أرتل مدائحي
ان الحمامة تحلق فوقك ، على علاء النسر
على قمتك أسكر بالكواكب
واستحم بالبرد السماوي الذي ينساب ليل نهار . . .

برد السماء الإلهي يبلل الروح كالسيف
ويخمد الحب في النفس وينقذها من السعادة .

ها هنا لا دبول ولا حنان فاتر .
والورد ان هو الأذكى خالية المعاني
ولكن — هنا — تتجلى القدرة وحدها

أحييك يا سمائي ، يا هيكل الهياكل الذي من اجله آتي ومن اجله أعود

مفترقة من صدر الآلهة القوة — على أن أحيا وحدي —
ها أنا ذا الآن الطاهرة الكاملة .
انني لن أكون — في الحب — شبيهة بالنساء .
انني حطمت الهياكل الغريبة ونثرت بقاياها على الحضيض .
ووطأت بقدمي أجساد الملوك الخافقة .
ومشيت على دماء الذكور الاشداء الضواري .
أنا ! . . .
وفي هذا المكان المهيمن على الأرضين التي يغمرها الشفق ،
وعلى الناس المزاكم ، وعلى النجبة التي تقيظ
وعلى حظائر البشرية ، حيث يُولد من يولد ويموت من يموت
اسأل نفسي وأقف مرتابة ... هل أنا أشدُّ رعباً من الحياة أو من الموت ؟
انهما شيء واحد في نظر الكواكب

الجميع : في نظر الكواكب

سميراميس : بحكمتي وقوة ساعدي ، بجيلي وشجاعتي ، ومضاء عزمي ،
ورقة جسدي وظلال عيني ، بلغتُ — بقدرتي — القمة المرعبة .
وسئمتُ من الموت هذا القليل الذي يصونونهُ من المعنى الإلهي
وصيتهُ في قلبي فوق الوجود
تاركةً طبائعهم تفيض دناءة !
آه ! كم يلذني ان أستروح ريح البغض من هذا المكان العالي .

الجميع : لتكن « استار » معك فتاة الجحافل .

سميراميس : الحب ذاته خضع ليدي القاهرة وجعلتُ منهُ عبداً .

الجميع : هل يعطى الجمال سلاحاً يُصرَع به ؟

سميراميس : أراني أرتجف — اذ أريد ، وقلبي يتغير ويتحير .
جسدي هو شباك وحبائل ، واللذائذ التي يوزعها هي بنات شؤم وسوء .
الذي هي وحش ضار ، وفي سريري المطيَّب أُحس حرارة الصيد الملكي

منجم : سميراميس جميلة

سميراميس : لقد سكر بلذتي ، وظن الحبيب انهُ أصبح سيداً.
ولكن سميراميس المرأة كانت أدنى منهُ الى الرجال .
وهكذا قدَّمتهُ الحمامة مطعماً للنسور.

منجم : سميراميس طاهرة
الجميع : انها قتلت
منجم : سميراميس عظيمة
الجميع : انها قتلت
سميراميس : اعطيت كلاً طعامه ، وهبتُ لبلي للبدن ، وبدتي للحب ، والحب للموت
الجميع : سميراميس عادلة . . . سميرا . . .
سميراميس : [بحدة] صه أيها الكاذبون ! اذهبوا وغرّوا وارتشوا من غيري.
واعطوا ألاَّ احد سواي يقدر ان يعطيني متاعي .
[المنجمون ينكصون الى الوراء]
أيها الكاذبون الخادعون ، ان مجدي يقوم في نفسي وحدها .
وأنتم لا تستطيعون ان تشهدوا منهُ شيئاً
اذهبوا واهربوا
انكم لم تكونوا كهذا اليوم على أهبة الصلب
فروا من سميراميس التي تعرف ان تقرأ في قلوبكم تلاوة أوضح مما تتلونهُ في النجوم ، وفي سميراميس ! . . .
[يزداد المنجمون خوفاً ويرجعون الى الوراء . . . وخلال ذلك يسطع الفجر ويكسو الأشياء بحمرته المتوقدة ، ثم تتكشف الاشياء تحت نوره شيئاً فشيئاً]
سميراميس : [بتهلل وتعجب]
ان هؤلاء الفلاسفة — من غير عقل —
يتركونني أشعر — عن حق — بأني ألهة لهم .
لقد كان أسيري — على الأقل —
مجبولاً من الصفاء الكامل

سميراميس : وهل أكثر صدقاً وطبيعةً من الاغواء والفتنة يأتيهما من يثق بأنهُ جميل!
وهل اكثر صدقاً وطبيعةً من رجل يظن نفسه « بأن ملكة تهب نفسها وجسدها ان هي إلاّ امرأة مستعبدة ذليلة » .
لقد كان جميلاً حقاً ،
كم رقصت من أجله بلذة ، ومن أجلي أيضاً . . .
يجلس على الافريز ، وصوت بيد يحمل اليها صدى أغنية بسيطة لا تدرك كلماتها ، تستغرق الملكة في حلم حزين ثم تأخذ ترقص بهوىً ، ثم تكفُّ عن رقصها بغتة :
« سميراميس طاهرة . . . انها قتلت » .
يا نفسي بحقيقتها ، يا سميراميس وحدها !
ما ذا ؟ أن هذا الراعي الذي تفاوح أغنيته بما لا أدري من روح الحب هل ألّف اغنيته على الملكة ؟
وهل سم الكآبة الناعم المسكوب في هواء الفجر يقدر ان يقودني قسراً الى الضعف الانساني ؟
لا يا سميراميس ... يا قادرة على الحياة وحدها معتزلة !
ليس لي شبيه ، ولا أريد حياة ولا موتاً .
[سراميز مهمة تملن اليقظة ، والشمس ترسل اشعتها ، تضيء المدينة ، سقوفها ، وبجاري بياعها اللامعة . سميراميس تلمع نفسها وتقف موقفاً جليلاً
ها أنت . . .
ها قد بدا السيد يختال في مجده .
بدا من يعطي ومن يأخذ ، ومن يولّد ومن يبيد .
يظهر ويضرب ... ويضع كل شيء منسجماً في نظامه ...
يجمع الفضاء والارض والانظار والافكار
سلاماً يا سيد الزمان !
لا اريد سواك مرآةً لي ...
أني أقدم نفسي كاملة الى معرفتك المتنبهة

سميراميس : ولا ترى — في سميراميس لا سرًّا ولا ظلاً من اجلك .
[تكشف عن بدنها وتصبح عارية كما ظهرت في الفصل الثاني]
ايها الاله ... لا اعرف سواك !
يا اله الآلهة ، لا احد غيري وغيرك
أريده بكل قواي...
[ترقى على الانريز]
كم أتروح !
كم أتروح هنا ريح السلطة المطلقة الصافية .
أرى وأتروح — في الاعالي — كل ما صنعت .
الرغبة تتركني والهوان يرفعني .
ان قلبي أوسع حدوداً من مملكة
وليس هنالك صرح — مهما شمخ وتعالى — أستطيع ان أكتشف من علوه حدود نفسي
أريد ان أكون عظيمة حتى يأتي رجال العصور الآتية ويشكوا في وجودي .
أريد ان أكون قوية جميلة حتى يروا فيَّ خليقة رومانية سامية .
أليس المجد الأعظم هو نصيب الآلهة الذين لا يُبصرون !
سيقولون عن سميراميس — ألا وجود لها — انها آلهة . . .
[تنزل وتمر بجنب الهيكل ، وبحركة من مشيها الفتان تابث لحظة كأنها في صلاة ثم ترقى درجات الهيكل]
والآن سأنام على حجارة هذا المعبد .
وسأصلي للشمس وهي في حدتها . حتى تُحيلني بخاراً ورماداً ، وحتى تنطلق — حرة من نفسي في هذه اللحظة — هذه الحمامة التي غذيتها بكثير من المجد والكبرياء

[وهنا تمددت سميراميس على حجر الهيكل واشتعلت بأفراحها وغدت مشعلاً من النور الباهر طوال لحظة . . . ضباب خفيف يحيط بها ثم يرتفع متوثباً ثم يشرق . . . عن حمامة تطير ، ولا يزال المعبد الفارغ يسطع في الشمس]